

مصحف عثمان بن عفان في الأندلس

د. سحر السيد عبد العزيز سالم
أستاذة بجامعة الاسكندرية

ذكر الشريف الادريسي الجغرافي العربي الثبت، المعروف بأمانته وصدقه في الوصف، في كتابه « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق »، أن بمخزن المسجد الجامع بقرطبة الواقع على يسار المحراب « مصحف يرفعه رجلان لثقله، فيه أربع أوراق من مصحف عثمان بن عفان، وهو المصحف الذي خطه بيمينه - رضي الله عنه - وفيه نقط من دمه، وهذا المصحف يخرج في صبيحة كل يوم جمعة ويتولى إخراجهم رجلان من قومة المسجد، وأمهم رجل ثالث بشمعة. وللمصحف غشاء بديع الصنعة، منقوش بأعرب ما يكون من النقش وأدقه وأعجبه، وله بموضع المصلي كرسي يوضع عليه، ويتولى الإمام قراءة نصف حزب منه، ثم يُرد إلى موضعه »⁽¹⁾.

هذا النص يثير للقارىء عددا من التساؤلات :

- (1) ماذا يقصد بمصحف عثمان، وما علاقته بمصاحف الأمصار ؟
- (2) كيف وصل هذا المصحف أو على الأقل الصفحات الأربعة من المصحف التي كانت ما تزال تحتفظ بأثار من دماء الخليفة الشهيد إلى جامع قرطبة ؟ ومتى وصل إليها ؟
- (3) ما مصير هذا المصحف الإمام ؟

هذه الأسئلة من الصعب الإجابة عليها، لكثرة الاختلاف بين الروايات التاريخية حول هذا المصحف ومزاعم وادعاءات بعض المدن الاسلامية في حيازتها لهذا المصحف، ولكننا سنحاول التوصل إلى حل هذه المشكلة بقدر الامكان، والاجابة على هذه الأسئلة عن طريق الحوار العلمي وعن طريق المقابلة بين النصوص والروايات المختلفة لاستنباط حقائق نستند عليها في معالجتنا للموضوع والرد على هذه التساؤلات على نحو مقتع، ولا نزعم أن ما نتوصل إليه من نتائج من خلال دراستنا لهذه الموضوعات حقائق مسلم بها، ولكنها محاولة لحل مشكلة كانت مثار جدل وآراء متناقضة في المصادر العربية. وفيما يلي عرض مفصل وإجابة لجميع التساؤلات المذكورة.

مصحف عثمان بن عفان الشخصي وعلاقته بمصاحف الأمصار الإسلامية :

من المعروف أن الفتوحات الإسلامية اتسعت في خلافة عثمان بن عفان وشملت بلادا كثيرة في المشرق والمغرب، نذكر منها أرمينية، وأنربيجان، وكان حذيفة بن اليمان من بين من شهد فتح هذين البلدين⁽²⁾، ورأى اختلاف القوم في قراءة القرآن بسبب اختلاف اللهجات، وسمع الواحد يقول للآخر : « قراءتي أصح من قراءتك »، فأخذ المسلمون لذلك يكفرون بعضهم البعض، فارتاع حذيفة مما سمعه، وبادر من فوره بالسير إلى المدينة دار الهجرة، والتقى بعثمان بن عفان، وقال له : « أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في اختلاف اليهود والنصارى »⁽³⁾. فخشي عثمان أن يمتد الخلاف في قراءة القرآن إلى حد لا يستطيع معه التصدي له، فجمع الصحابة وتدارس معهم أسباب هذه المشكلة ووسائل حلها جذريا فأجمعوا على ضرورة كتابة نسخ موحدة منه ترسل إلى الأمصار، وتكون أساسا لقراءته وكتابته، يرجع إليها كل المسلمين على اختلاف لهجاتهم عربا كانوا أم أعاجم. فبعث عثمان إلى السيدة حفصة أم المؤمنين وابنة عمر ابن الخطاب⁽⁴⁾ يطلب منها أن ترسل إليه مصحف أبي بكر الذي كان أبوها الخليفة عمر ابن الخطاب قد أودعه عندها، ليأمر بنسخه، ثم يرده إليها⁽⁵⁾، فأبى بادية ذي بدء حتى عاهدها عثمان بأن يردها إليها. ثم أسند عثمان بن عفان إلى زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام⁽⁶⁾ مهمة نسخ مصحف مرتب السور بلسان قریش⁽⁷⁾. واعتمد زيد بن ثابت وأصحابه على مصحف أبي بكر، واتخذوه مصدرا لنسخ المصحف العثماني الجديد. وبعد أن فرغوا من نسخ المصحف وكتابته، أمر عثمان بإحراق ما عده من مصاحف، وأصبح مصحف عثمان الجديد هو المصحف الوحيد لجميع الأمصار⁽⁸⁾.

وبعد أن تم نسخ المصحف العثماني الجديد أو المصحف الامام على قراءة واحدة، وإحراق ما خالف ذلك من مصاحف وصحف، بعث نسخا من المصحف العثماني إلى الأمصار الإسلامية وعرفت هذه بالمصاحف الأئمة أو المصاحف العثمانية⁽⁹⁾، وأغلب الظن أن استنساخ المصاحف تم سنة 30 هـ⁽¹⁰⁾. وهكذا تصدى عثمان بن عفان لتلك الفتنة بكل شجاعة، وعالج الموقف المتحرج بكل حزم وحكمة، ورغم هذا الموقف المحمود له فإن البعض أخذ عليه ذلك بدلا من تقديره حق قدره وتوجيه الشكر له، بل إن توحيد المصحف على قراءة واحدة وإحراق المصاحف الأخرى التي تسببت في اختلاف المسلمين وتكفيرهم كان أحد الأسباب التي أدت إلى اشتعال فتنة الأمصار التي انتهت باستشهاد الخليفة عثمان بن عفان⁽¹¹⁾.

قد اختلف المؤرخون في عدد المصاحف العثمانية التي أرسلت إلى الأمصار، فأبو بكر الداني والزرکشي يجعلانها أربعة وزعت على الكوفة والبصرة ودمشق، وترك عثمان عنده نسخة لنفسه⁽¹²⁾، ولكن السجستاني يسوق في كتابه المصاحف روايتين : الأولى على لسان حمزة الزيات، جعلها أربعة مصاحف، والثانية جعلها سبعة مصاحف توزعت على مكة

والشام والبحرين والبصرة والكوفة والمدينة⁽¹³⁾. وينفرد اليعقوبي برواية حدد فيها عدد المصاحف الموزعة على الأمصار بتسعة⁽¹⁴⁾ منها مصحف وجهه عثمان بن عفان إلى مصر وآخر إلى اليمن وثالث إلى الجزيرة، في حين يجعلها ابن الجزري ثمانية⁽¹⁵⁾، من بينها مصحف استبقاه الخليفة عثمان لنفسه يقال له الامام.

ويميل جمهور من الباحثين إلى القول بأن المصاحف الأئمة كانت ستة⁽¹⁶⁾. ويجدر بنا بهذا المناسبة أن نفرق بين المصاحف التي أرسلها عثمان الي الأمصار، ومن بينها مصحف المدينة، وبين مصحفه الشخصي الخاص به، الذي كان يقرأ فيه يوم استشهد في عام 35 هـ، وهو الذي قيل أنه خطه بيمينه⁽¹⁷⁾، فمصحف عثمان الخاص به كما يروى السجستاني كان يخالف مصاحف أهل المدينة اثني عشر حرفاً⁽¹⁸⁾، ثم إنه المصحف الذي كان يضعه عثمان بن عفان على حجره ليتحرم به ويقرأ فيه يوم فاجأه الثوار بالهجوم على داره، واستشهد رضي الله عنه وهو يتلو القرآن في مصحفه واصطبغت بضع صفحات منه بقطرات من دماء الخليفة الشهيد، وقد سالت قطرات من دمائه وتناثرت على قوله تعالى ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾⁽¹⁹⁾. وقد ظل أثر الدم عليها لم يحك بعد وفاته، وظل المصحف الامام الخاص بعثمان بن عفان محفوظا في المدينة فترة من الزمن بعد استشهاده، ثم اختفى منها، ومنذ ذلك الحين بدأ بعض المساجد الجامعة في العالم الاسلامي تزعم حيازتها له.

الادعاء الأول الخاص بمصحف مصر :

يذكر المقرئ في الخطط أن مصحف عثمان الشخصي الذي يحمل آثار قطرات من دمه استخرج من خزائن المقتدر بالله العباسي، ثم نقل إلى جامع عمرو بن العاص في 5 من المحرم سنة 378 هـ في خلافة العزيز بالله⁽²⁰⁾. وظل مصحف مصر الذي زعم المقرئ أنه مصحف عثمان محفوظا بمدرسة القاضي الفاضل الواقعة على مقربة من المشهد الحسيني، ثم نقل بعد تخرب المدرسة المذكورة إلى القبة التي أنشأها السلطان قنصوة الغوري مدرسته، وظل محفوظا بها حتى سنة 1275 هـ عندما نقل مع آثار نبوية إلى المسجد الزينبي، ثم إلى خزائن الأمتعة بالقلعة، ثم إلى ديوان الأوقاف سنة 1304 هـ، ومن هنا نقل في العام التالي إلى قصر عابدين ثم إلى المسجد الحسيني⁽²¹⁾، ولكن السهمودي يستبعد أن يكون هذا المصحف هو نفس مصحف عثمان الخاص به، ويرجح أن يكون أحد المصاحف الموزعة على الأمصار⁽²²⁾.

وللرد على هذا الزعم تجدر الإشارة إلى أن عثمان بن عفان لم يبعث إلى مصر نسخة من المصاحف العثمانية، فإن اسم مصر لم يرد في معظم المصادر بين الأمصار التي تلقت مصاحف عثمان (وفقا لما ذكره أبو عبيد القاسم بن سلام، والسجستاني، وأبو عمرو الداني)، مما يدفعنا إلى ترجيح الرأي القائل بأن عثمان لم يرسل نسخة من مصحفه إلى مصر⁽²³⁾، وتؤكد الدكتورة سعاد ماهر بعد دراسة دقيقة لخط مصحف مصر، أن هذا الخط يرجع إلى

عصر متأخر عن عصر عثمان بن عفان⁽²⁴⁾. وفي تصوري أن مصحف مصر استخرج من أحد المصاحف العثمانية ربما من مصحف الشام فإن حركة استنساخ المصاحف كانت قد نشطت كثيرا في العصر الأموي، فقد ذكروا أن الحجاج بن يوسف الثقفي أرسل نسخا من مصحفه إلى الأمصار، ومن بينها مصر، وأن ذلك التصرف أثار غيره عن العزيز بن مروان والي مصر الذي بادر بنسخ مصحف لمصر رصد له القراء والمراجعين المتخصصين بحيث صدر مطابقا للمصحف العثماني، وبذلك يكون هذا المصحف أول مصحف رسمي لمصر⁽²⁵⁾.

الادعاء الثاني المتعلق بمصحف البصرة :

ذكر ابن بطوطة في جملة ما كتبه عن رحلته إلى البصرة أنه شاهد في مسجد أمير المؤمنين على المصحف الكريم الذي كان عثمان رضي الله عنه يقرأ فيه لما قتل وأثر تغيير الدم في الورقة التي فيها قوله تعالى : ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾⁽²⁶⁾. ونستبعد أن يكون هذا المصحف الذي تحدث عنه ابن بطوطة هو نفس مصحف عثمان الشخصي، إذ كيف نفسر وجود نفس المصحف في الوقت ذاته في خزائن سلاطين بني زيان بتلمسان إلى أن استرده السلطان أبو الحسن علي المريني منهم في سنة 738 هـ، إلا إذا كان أحد المصحفين مزيفا. وأميل إلى ترجيح القول بأن المصحف كان يحتفظ به الزيانيون ثم المرينيون في المغرب، إذ كان في الأصل موجودا بجامع قرطبة، ثم نقله الموحدون إلى مراكش في سنة 552 هـ خشية أن يتعرض لضياح، إذ ظل محفوظا بقرطبة التي كان يهددها القشتاليون. ولم يكن الموحدون من السذاجة بحيث يقدمون على نقل المصحف من موضعه بجامع قرطبة، عندما تعرض لعبث القشتاليين، إلى حاضرتهم مراكش، ويتفنون في الاحتفال به وترصيعه بأنفس الدر والبواقيت، ويجندون المهندسين وأرباب الحيل الهندسية للحفاظ عليه داخل خزائن تفتح وتغلق أليا، ويحملة خلفاؤهم في حملاتهم العسكرية تبركا به ما لم يكن هذا المصحف موضع التبجيل والتكريم هو أو على الأقل بضع صفحات منه مصحف عثمان الأصلي. وهذا يدفعنا إلى الشك في أصالة مصحف البصرة الذي شاهده ابن بطوطة. ولا يبقى أمامنا سوى افتراض أن يكون مصحف البصرة أحد المصحفين اللذين أرسلهما عثمان بن عفان إلى العراق⁽²⁷⁾، وأن تكون آثار قطرات الدم التي تركزت على قوله : ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ قد وضعت عمدا للتمويه وإقناع البسطاء من الناس أنه مصحف الخليفة الشهيد.

الادعاء الثالث الخاص بمصحف طشقند :

تحتفظ مكتبة الادارة الدينية بطشقند بمصحف مكتوب على رق يزعمون أنه مصحف عثمان، ويتميز هذا المصحف بأنه خال من النقط، وأن كل صفحة من صفحاته تشتمل على اثني عشر سطرا، وأن عدد ورقاته 353 ورقة قياسها 53×68 سم⁽²⁸⁾. ويتساءل البعض

عن كيفية وصول هذا المصحف الامام إلى سمرقند وبقائه فيها إلى أن انتقل منها إلى موضعه الحالي بطشقند في سنة 1869⁽²⁹⁾. ويفترض بعض الباحثين رداً على هذا التساؤل افتراضين : الأول أن يكون هذا المصحف قد وصل إلى سمرقند إبان حكم القبيلة الذهبية (621-907 هـ)، وأنه كان هدية من السلطان الظاهر بيبرس الذي تحالف مع بركة خان رئيس هذه القبيلة، وأول من أسلم من المغول، وصاهره. والثاني : أن يكون هو نفس المصحف الذي رآه ابن بطوطة عند زيارته للبصرة ثم نقل إلى سمرقند على يد تيمور لنگ (771-807 هـ)⁽³⁰⁾. أما الافتراض الأول فلا يقوم على أساس صحيح لأن نسبة مصحف مصر إلى عثمان أمر مشكوك فيه أساساً، وفي هذه الحالة يصبح المصحف الذي أهداه السلطان بيبرس إلى بركة خان مزيفاً ومنحولاً في نسبته إلى عثمان بن عفان لا سيما إذا أخذنا في الاعتبار أن مصحف مصر كان موجوداً بالقاهرة لم يخرج منها. ولذلك نستبعد هذا الافتراض ويبقى الافتراض الثاني الذي يلقي قبولا لدى بعض الباحثين⁽³¹⁾، مع بعض التحفظ، فهم يحرصون تأييدهم في أن مصحف سمرقند يكون نفس المصحف العثماني الذي وجهه عثمان إلى البصرة استناداً إلى تشابه خطه مع الخط الذي كتب به المصحف الامام، كما رفضه آخرون⁽³²⁾ استناداً إلى أن الصنعة الفنية تظهر واضحة في مصحف طشقند ممثلة في رسم الحروف مما يشير إلى أن الخط الذي كتب به لا يرجع تاريخه إلى عصر عثمان بن عفان وإنما يرجع إلى القرن الثاني أو الثالث الهجري.

الادعاء الرابع الخاص بمصحف حمص :

ذكر الشيخ اسماعيل بن عبد الجواد الكيالي أنه شاهد المصحف العثماني محفوظاً في خزانة داخل صندوق بمسجد قلعة حمص، وأن هذا المصحف مكتوب بالخط الكوفي الغليظ، وأنه شاهد آثار دماء على بعض الكلمات. ولكن العلماء المتخصصين في علم النقوش الكتابية والخط يؤكدون استناداً إلى نوع الحروف أن المصحف المذكور كتب في فترة لاحقة على القرن الأول الهجري.

الادعاء الخامس الخاص بمصحف اسطنبول :

يحتفظ متحف طوف قابو سراي باسطنبول بمصحف مكتوب على رق يزعمون أنه نفس المصحف الذي كان بيد الخليفة عثمان يوم استشهد، وأن آثار الدماء ما تزال واضحة على ورقاته حتى اليوم. ولكن بالرجوع إلى وصف المصحف يتبين أن هذه النقاط الحمراء التي يزعمون أنها آثار من دماء عثمان ليست سوى رقوق ودوائر بداخلها خطوط هندسية⁽³³⁾، وفي ذلك ما يؤكد بأن المصحف لا صلة له بالمصاحف العثمانية إذ لم تكن هذه المصاحف في ذلك العهد محلاة بمثل هذا الرقش والتزييت.

ويبرز بين كل هذه المزاعم والادعاءات النصوص التي تؤكد أن المصحف الذي كان مودعاً في مخزن جامع قرطبة الواقع إلى يسار المحراب في قول الادريسي أو في بيت

المنبر في قول الجغرافي مجهول الاسم كان يضم أربعة أوراق من مصحف عثمان الامام، كما أن هناك شبه إجماع بين مؤرخي وجغرافيي الأندلس على أنه المصحف الذي خطه عثمان بن عفان بيمينه⁽³⁴⁾.

وأيا ما كان الأمر بعد تفنيدينا للمزاعم السابقة، نرجح أن يكون مصحف عثمان الشخصي المعروف بالمصحف الامام الذي كان يقرأ فيه ساعة استشهاده وقد اصطبغ بدمائه هو الذي كان محفوظا بجامع قرطبة، ويبقى أن نتتبع رحلته من دار الهجرة إلى قرطبة حاضرة الخلافة الأموية بالأندلس، وهذا هو موضوع السؤال الثاني.

رحلة مصحف عثمان الامام من المدينة دار الهجرة إلى قرطبة، وزمن وصوله إليها :

نستنتج مما أورده السهمودي في وفاء الوفا أن مصحف عثمان الذي كان يقرأ فيه قبيل استشهاده انتقل بعد وفاته إلى أحد شخصين، كلاهما يحمل اسم خالد : أحدهما حفيده خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان وفقا لرواية السهمودي نقلا عن محرر⁽³⁵⁾، والثاني ابنه خالد بن عثمان بن عفان حسب رواية ابن قتيبة، ومن الممكن إضافة احتمال ثالث إلى الروايتين السابقتين أورده أحد الباحثين، وهو أن مصحف عثمان وخالد هذا هو عم خالد بن عمرو بن عثمان الوارد اسمه في الرواية الأولى⁽³⁶⁾. المنقوت بدمه ربما كان من بين ما استجلبه معاوية بن أبي سفيان من دار عثمان ونقله إلى جامع دمشق مثل قميص عثمان الملطخ بدمه وأصابع السيدة نائلة زوج عثمان، ليستخدمه سلاحا سياسيا يستثير أهل الشام ضد علي بن أبي طالب وأنصاره. وقد استبعد الدكتور الطاهر المكي هذا الاحتمال لأنه لم يرد في أي مصدر عربي ما يشير إليه، وعلق على ذلك بقوله : « وهو ظن يضعفه أن أحدا من المؤرخين لم يشر إلى هذا، وليس سهلا على أهل الضغينة وفيهم كبار الصحابة أن يتخلو عنه لأحد... »⁽³⁷⁾. وربما خلط المؤرخون الذين أخذوا بهذا الاحتمال بين مصحف عثمان الملطخ بدمه وبين المصحف الذي كان قد وجهه عثمان بن عفان إلى دمشق، فأبو القاسم التجيبي السبتي يذكر أنه عاين بنفسه المصحف الشامي بجامع بني أمية بدمشق المحروسة⁽³⁸⁾. ويؤكد ذلك ابن بطوطة في رحلته ويذكر أن مصحف عثمان الذي بجامع دمشق هو النسخة التي أرسلها إلى الشام⁽³⁹⁾ وليست نسخته الخاصة به والتي اصطبغت بعض أدواتها بدمائه، وقد شاهدها ابن بطوطة في البصرة⁽⁴⁰⁾.

وعلىنا الآن أن نتتبع رحلة المصحف الامام من المدينة دار الهجرة إلى قرطبة، والفترة التي يحتمل أن يكون قد دخل فيها قرطبة حيث استقر بجامعها.

من المعروف أن عثمان بن عفان خلف عددا من الأبناء من زوجات مختلفة، إحداهن أم عمر وبنت جندب بن عمر بن حممه بن الحارث بن رفاعه التي يرتفع نسبها إلى دهان بن منهب بن دوس، وأنجب منها أولاده : عمرو وخالد وأبان وعمر ومريم⁽⁴¹⁾. ومن الواضح أن خالد المذكور في رواية ابن قتيبة هو ولد عثمان بن عفان من زوجه أم عمرو

بنت جندب. أما خالد الوارد ذكره في رواية السهمودي فهو خالد بن عمرو وهي رملة بنت معاوية⁽⁴²⁾. ونميل إلى الأخذ برواية السهمودي التي نقلها عن محرز، وتشير إلى أن المصحف الامام المصطبغ بقطرات من دم عثمان ظل محفوظا بعد استشهاده لدى خالد بن عمرو بن عثمان لسببين : الأول شدة قرابته من معاوية بن أبي سفيان، فهو حفيده، من المنطقي أن يقر معاوية لحفيده بن عمرو الاحتفاظ بمصحف جده من أبيه، لثقة معاوية التامة في أن حفيده لم يفرط أبدا في هذا المصحف. والثاني : أن دار عثمان آلت إلى ولده عمرو بن عثمان وإخوته، وهي الدار التي كان عثمان قد تصدق بها - وفقا لرواية السهمودي⁽⁴³⁾ على ولده عمرو، وعرفت لذلك بدار عمرو بن عثمان مما يؤكد بأنه كان أكثر أبناء عثمان اهتماما بدار أبيهم، وأنه أكثر من الإقامة بها حتى عرفت باسمه « دار عمرو بن عثمان »، وفي ذلك ما يشير إلى أن ولده خالد بن عمرو نشأ في هذه الدار وأقام فيها، وأنها نفس الدار التي قتل فيها عثمان وكان بها مصحفه المنقوت بدمائه. ولهذين السببين نرجح أن يكون مصحف عثمان في حوزة حفيده خالد بن عمر باعتباره أقرب إلى معاوية بن أبي سفيان وبنيه من خالد بن عثمان بالإضافة إلى أنه كان يقيم مع أبيه في دار عثمان نفسها. وإذا صح هذا الاحتمال فإن مصحف عثمان لم يخرج من داره حتى ذلك الحين.

وأيا ما كان الأمر، وسواء أكان المصحف المنقوت بدم عثمان محفوظا عند خالد بن عثمان أو عند خالد بن عمرو بن عثمان، فإن هذا يعني أن هذا المصحف ظل في حوزة أهل عثمان بن عفان، وأن بني أمية لم يسعوا إلى انتزاعه منهم لاطمئنانهم إلى سلامته في حمى أقربائهم أبناء عثمان بن عفان، ثم فقد هذا المصحف على حد قول ابن عبد الملك الأنصاري، في إحدى الفتن الطارئة عليها⁽⁴⁴⁾، وهذه الفتن تنحصر في واحدة من فتن ثلاثة وقعت في المدينة، نوضحها فيما يلي :

الفتنة الأولى :

وقعت في سنة 50 هـ في خلافة معاوية بن أبي سفيان عندما صمم معاوية على انتزاع البيعة بولاية العهد لابنه يزيد من أبناء الصحابة، فقدم معاوية بنفسه إلى المدينة في ذلك العام، وأرسل للقاء العبادلة من أبناء الصحابة، وخاطبهم في المبايعات ليزيد، وكانوا يتمثلون في الحسين بن علي، وعبد الله بن عمر، وعبد الرحمن بن أبي بكر، وعبد الله بن الزبير، فأوقف على رأس كل منهم حارسين يحمل كل منهما سيفه⁽⁴⁵⁾، وخاطب معاوية أهل المدينة معلنا موافقة المعارضين الأربعة على مبايعة يزيد، فاضطر هؤلاء المعارضون إلى السكوت وباع الناس ليزيد.

الفتنة الثانية :

وقعت في عام 63 هـ، فقد دعا عبد الله بن الزبير لنفسه بعد استشهاد الحسين في كربلاء، فبايعه الناس في تهامة والحجاز، وكان أهل المدينة قد غضبوا لمقتل الحسين بن

علي، فخلعوا عثمان بن محمد بن أبي سفيان عامل يزيد عليهم، وطردها مروان بن الحكم⁽⁴⁶⁾ وسائر بني أمية، وأقاموا عليهم عبد الله بن حنظلة، فسير إليهم يزيد قوة كثيفة من الشاميين عدتهم اثني عشر ألف مقاتل⁽⁴⁷⁾، وقتل خمسة آلاف⁽⁴⁸⁾، بقيادة مسلم بن عقبة المري لتأديب أهل المدينة والقضاء على حركة ابن الزبير، أما أهل المدينة فقد دلوا على أنفسهم عبد الله بن مطيع العدوي عن قريش وعبد الله بن حنظلة⁽⁴⁹⁾ عن الأنصار. وتلوموا بخندق حفروه حول المدينة، ولكن الشاميين تمكنوا من اقتحام المدينة بعد معركة ضارية دارت بالحره في 27 ذي الحجة سنة 63 هـ، قتل فيها ثمانون من صحابة رسول الله وآلاف من سائر الناس، واستباح عسكر الشاميين المدينة ودعوا أهلها إلى البيعة على أنهم عبيد، فبايع الناس على ذلك.

الفتنة الثالثة :

وقعت في المدينة في خلافة أبي جعفر المنصور، فقد أثار استئثار العباسيين بالخلافة دون العلويين سخط العلويين وغضبهم ودفعهم إلى الثورة عليهم، وكان الحسينيون أول من تحرك منهم للمطالبة بحقهم في الخلافة. وتزعّم الثورة محمد النفس الزكية بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي في جمادى الآخرة من سنة 145 هـ، ودعا الناس فبايعوه⁽⁵⁰⁾. ولم يتردد المنصور في إخماد هذه الحركة التي أصبحت تشكل خطراً جسيماً يهدد كيان الدولة العباسية، فسير إلى المدينة عيسى بن موسى، ولي عهده، على رأس قوة عدتها أربعة آلاف فارس، وألفي راجل، وأردف هذه القوة بجيش كثيف تولى قيادته حميد بن قحطبة، وإلى الجزيرة أحد كبار القادة العباسيين ودخلت قوات عيسى بن موسى المدينة يوم النصف من رمضان سنة 145 هـ، وفوجيء أهل المدينة بخيالة العباسيين تطوقهم، فاشتبكوا معهم في قتال عنيف، واستشهد عدد لا يستهان به من أنصار النفس الزكية، ففرق كثير منهم عنه، وأيقن بالهزيمة، فدخل دار مروان واغتسل وصلى الظهر، ثم خرج لمواصلة القتال بين من تبقى من رجاله حتى استشهد على يد حميد بن قحطبة الذي احتز رأسه⁽⁵¹⁾، وبذلك قضى المنصور على ثورة الحسينيين في المدينة. ثم تجددت ثورة الحسينيين في المدينة في سنة 169 هـ في خلافة الهادي، وتزعّمها هذه المرة الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن، وكان يتولى المدينة من قبل الخليفة العباسي آنذاك عمر بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب الذي اصطنع مع بني الحسن بن علي سياسة تقدم على العنف والترهيب، وأدى ذلك إلى قيام الحسين بالدعوة لنفسه، فبايعه أهل المدينة، ثم خرج في حشد كبير من أنصاره إلى مكة في 24 من ذي الحجة، فتصدت له عند فح بالقرب من مكة قوة كثيفة العدد من العباسيين بقيادة سليمان بن المنصور، ودارت بين الفريقين معركة عنيفة انتهت باستشهاد الحسين ومعظم من كان معه⁽⁵²⁾.

وهكذا نجد أنفسنا أمام أكثر من احتمال، إلا أننا نرجح الاحتمال الثالث استناداً إلى رواية أوردها السمهودي على لسان الامام مالك بن أنس الذي قال : « ان مصحف عثمان رضي

الله عنه تغيب، فلم نجد له خبراً بين الأشيخ⁽⁵³⁾، ومن المعروف أن مالك توفي سنة 179 هـ. كذلك يذكر السهمودي أن القاسم بن سلام المتوفى سنة 223 هـ رأى مصحف عثمان المنقوط بدمه وقد استخرج له من خزائن بعض الأمراء، وشاهد آثار الدماء بورقته⁽⁵⁴⁾. وهناك نص أورده كل من ابن عبد الملك الأنصاري⁽⁵⁵⁾، في «الذيل والتكملة» وابن مرزوق في «المسند الصحيح»⁽⁵⁶⁾، يذكر أن فيه أن شخصاً يدعى أبو بكر محمد بن أحمد بن يعقوب بن شيبه بن الصلت ذكر أنه سمع عن والده أحمد ورأى بخط جده يعقوب ما يؤكد أن يعقوب هذا رأى مصحف عثمان (المصحف الامام) بنفسه في العراق في شهر ربيع الأول سنة 223 هـ وقد بعث به المعتصم العباسي لتجدد دفناه ويحلى، وأنه شاهد في أوراق كثيرة من المصحف أثر دم كثير، وأن أكثر هذا الدم في سورة «النجم» وعلى قوله تعالى «فسيكفيكم الله» وألقى أن طول المصحف يبلغ نحو شبرين وأربعة أصابع، وأن كل سطر يشتمل على 28 سطراً ونخرج من هذه الرواية بالحقائق الآتية :

- 1 - أن المصحف الامام كان محفوظاً بالعراق زمن الخليفة المعتصم.
- 2 - أن طول المصحف كان يصل إلى نحو شبرين وأربعة أصابع، وأن كل ورقة منه كانت تشتمل على 28 سطراً.
- 3 - أن نقاطاً كثيرة من الدم كانت متناثرة على عدد كبير من أوراق المصحف.

ونرجح استناداً إلى كل ما ذكرناه أن يكون المصحف الامام قد اختفى من المدينة في حياة مالك بن أنس، وهذا يدعونا إلى رفض الاحتمالين الأولين، وتقبل الاحتمال الثالث، ويقضي بأن المصحف الامام فقد من المدينة مع أحداث الفتنة الثالث الواقعة في سنة 169 هـ، إذ أن هذا التاريخ يتفق منطقياً مع الفترة الزمنية التي عاش فيها الامام مالك ومع طبيعة الأحداث. وعلى هذا الأساس يمكننا القول بأن المصحف الامام كان محفوظاً عند أحفاد عثمان بن عفان بالمدينة، وهؤلاء كانوا أقرباء للأمويين، ولا يعقل أن ينتزع الأمويون مصحف عثمان من أقربائهم، أحفاد عثمان بن عفان سواء في فتنة سنة 50 هـ التي أخذ فيها معاوية بيعة أهل المدينة لابنه يزيد قسراً، إذ ليس من المنطق في شيء أن يقتحم معاوية دار حفيده خالد بن عمرو بن عثمان لينتزع منه المصحف الامام، فهو مهما كان الأمر حفيده وأقرب الناس إليه، وأكثرهم موالاة له، أو في فتنة المدينة سنة 63 هـ التي حدثت فيها وقعة الحرة، إذ ليس من المنطقي أن يأمر يزيد بن معاوية جنده الشاميين باستباحة حرمة دار خالد بن عمرو بن عثمان الذي هو ابن أخته رملة بنت معاوية. يضاف إلى ذلك أن هذين التاريخين سواء عام 50 هـ أو 63 هـ لا يعاصران حياة مالك بن أنس الذي أكد أن مصحف عثمان الذي كان يقرأ فيه ساعة استشهاده تغيب، أي لم يعد موجوداً في المدينة. ونخلص من ذلك كله بأن المصحف الامام الخاص بعثمان بن عفان والمنقوط بدمه ظل محفوظاً في دار عثمان بالمدينة طوال العصر الأموي، وأنه تغيب عنها على حد قول الامام مالك في بداية العصر العباسي، وربما في الوقت الذي اقتحم فيها العباسيون المدينة سنة 169 هـ، وهذا يدعونا

إلى الاعتقاد بأن هذا المصحف انتقل إلى أرض العراق في أعقاب الموقعة إذ أن استيلاء العباسيين على هذا المصحف الذي كان يحتفظ به بنو عثمان بن عفان أقرباء الأمويين يعني الكثير بالنسبة إليهم. ومما يؤكد صحة استنتاجنا أن السهمودي المؤرخ المشرقي، وابن مرزوق وابن عبد الملك الأنصاري المؤرخان المغربيان يتفقون على أن المصحف الامام المنقوط بدم عثمان كان بالعراق في حدود سنة 223 هـ، فالسهمودي يؤكد أن أبا عبيد القاسم بن سلام رأى المصحف المذكور وقد استخرج له من خزائن بعض الأمراء، وأنه شاهد بعض ورقاته آثار دم عثمان (57) ولكنه لم يحدد البلد الذي رأى فيه هذا المصحف، كما أنه لم يعرف بالأمراء الذين كانوا يحتفظون به في خزائنهم.

ومع ذلك فإننا استطعنا من خلال ترجمة أبي القاسم بن سلام الهروي البغدادي ومقارنة رواية السهمودي برواية ابن عبد الملك الأنصاري أن نتوصل إلى تحديد الموضع الذي كان المصحف الامام محفوظاً فيه : فابن سلام المذكور كان يعرف بالبغدادي لطول إقامته في بغداد، وكان من أشهر تلاميذ الاصمعي أخذ عنه بالبصرة، كما سمع بالكوفة على ابن الأعرابي والكسائي، واستقر به المقام بعد ذلك في بغداد إلى أن رحل إلى مكة (58) سنة 214 هـ (829 م) لأداء فريضة الحج، ثم توفي بها في سنة 223 هـ. ونستنتج من هذه الترجمة أنه كان يعيش في العراق حتى سنة 214 هـ، وهذا يعني أنه شاهد مصحف عثمان المنقوط بدمه في العراق خلال هذه الفترة، حيث استخرج من خزائن أمراء الدولة العباسية ببغداد التي نسب إليها ابن سلام بحكم إقامته الطويلة بها، ومعنى ذلك أن المصحف الامام حمل من المدينة إلى بغداد في بداية العصر العباسي الأول وبالذات في سنة 169 هـ وهو العام الذي دارت فيه موقعة فح، وهناك احتفظ به أمراء بني العباس في خزائنهم، ويؤكد ذلك رواية كثر من ابن عبد الملك الأنصاري وابن مرزوق التي تؤكد أن يعقوب بن شيبة رأى بنفسه مصحف عثمان المنقوط بدمه في العراق سنة 223 هـ. وهذا الاستنتاج يخالف الرأي الذي أدلى به ابن عبد الملك الأنصاري والذي ينكر فيه احتمال انتقال المصحف إلى الأندلس مع الأمير عبد الرحمن بن معاوية المعروف بالداخل، ويدعونا إلى ترجيح الرأي القائل بوصول أو على الأقل بضع صفحات منه كما سنوضح في الصفحات التالية في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط (59) (206-238 هـ).

مشكلة تأريخ انتقال مصحف عثمان الامام إلى قرطبة :

تختلف آراء مؤرخي الأندلس بشأن هذا المصحف، فابن بشكوال يرى أن هذا المصحف هو أحد المصاحف الأربعة التي بعث بها عثمان رضي الله عنه إلى الأمصار، وأن ما اصطنع به من آثار دماء عثمان زيف ووهم ولا أساس له من الحقيقة، ويرجح أن يكون هذا المصحف هو نفس المصحف العثماني الشامي (60).

ويرى ابن عبد الملك الأنصاري في موضع من الذيل والتكملة أن هذا المصحف الذي احتفظ به الأمويون في جامع قرطبة، واهتم الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله بتزويقه

والاحتفال به، ثم غرب من قرطبة في سنة 552 هـ إلى مراكش، لم يكن النسخة الخاصة بالخليفة الشهيد عثمان بن عفان، ويرجح بدوره أن يكون مصحف الأندلس أحد المصاحف الأربعة التي بعث بها عثمان بن عفان إلى مكة والبصرة والكوفة والشام، فإن كان إحداها، فلعنه الشامي استصحبه عبد الرحمن الداخل معه إلى الأندلس في سنة 138 هـ، أو بعثته إليه أخته في جملة ما بعثته من ذخائر وتحف، أو أن يكون مما اجتلب إلى غيره من ذريته⁽⁶¹⁾. ومع ذلك فهو يذكر في موضع آخر نقلا عن الرازي أن المصحف المحفوظ بجامع قرطبة هو مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان⁽⁶²⁾ ما خطه بيمينه، كما ينكر نقلا عن ابن حبان في أحداث سنة 354 هـ أنه مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه خطه بيمينه⁽⁶³⁾. ويذكر المقرئ أن هذا المصحف كان مصحف عثمان بن عفان الشخصي وكان يقرأ فيه عندما استشهد، وكان يزدان بحلية من الذهب مكللة بالدر والياقوت وعليه أغشية الدباج⁽⁶⁴⁾. وفي موضع آخر يؤكد أنه مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه مما خطه بيمينه⁽⁶⁵⁾.

ومن خلال هذا العرض للآراء المختلفة يبدو أن هناك فريقين : الأول يؤكد أن المصحف المحفوظ بجامع قرطبة هو مصحف عثمان الشخصي الذي كتبه بخط يده، وكان يقرأ فيه لحظة استشهاده، فتناثرت قطرات من دمه وتركت آثارها عليه، ومن هذا الفريق الرازي وابن حبان والادريسي والمقرئ. أما الفريق الثاني فينبغي أن يكون المصحف المذكور مصحف عثمان الخاص به، ويميل أصحاب هذا الرأي إلى أن المصحف هو واحد من المصاحف العثمانية التي وزعت على الأمصار الأربعة، ويرجحون أن يكون نفس المصحف الشامي أدخله عبد الرحمن بن معاوية معه الأندلس، ومن هذا الفريق ابن شكوال وابن عبد الملك الأنصاري. ونميل إلى الأخذ بالرأي القائل بأن مصحف جامع قرطبة هو نفسه أو بضع ورقات منه بمعنى أصح المصحف الامام الذي كان يقرأ فيه الخليفة عثمان وقت استشهاده، وإن كنا لا نتفق مع أصحاب هذا الرأي في أن عثمان هو الذي خطه بيمينه لأن المصادر العربية تجمع على أنه عهد إلى عدد من الصحابة بنسخ المصحف على قراءة واحدة بلسان قریش، وأنه لم يكتب، أو ينسخ بنفسه أيا من هذه المصاحف، كما نرفض رأي ابن شكوال وابن عبد الملك الأنصاري بشأن المصحف المحفوظ في جامع قرطبة، ويذهب كل منهما إلى أن هذا المصحف هو أحد المصاحف الأربعة التي أرسلت إلى الأمصار الأربعة التي سبق أن ذكرناها وإن كانا يرجحان أن يكون هو نفس مصحف دمشق.

ونعتقد أن مصحف الكوفة ربما ضاع في غمرة القلاقل والاضطرابات التي احتدت في الكوفة في خلافة علي بن أبي طالب وفي العصر الأموي عندما أصبحت مركزا للتشيع وحتى لو افترضنا بوجوده في الكوفة فلا يعقل أن يفرط أهل الكوفة في مصحفهم العثماني الامام ليرسل إلى الأندلس، التي كان يتولى حكمها أمراء من البيت الأموي السنة. وإما مصحف مكة فقد وصلتنا أخبار عنه حتى القرن الثامن الهجري، من ذلك أن ابن جبير رآه بمكة أثناء

زيارته لها⁽⁶⁶⁾ كما تحدث عنه الرحالة الطنجي ابن بطوطة عند زيارته للحرم المكي الشريف⁽⁶⁷⁾، كما عاينه أبو القاسم التجيبي السبتي في قبة اليهودية بمكة في أواخر سنة 696 هـ⁽⁶⁸⁾، وكذلك تحدث عنه السمهودي في مصنفه وفاء الوفا⁽⁶⁹⁾، وعلى هذا الأساس لا يمكن أن يكون مصحف مكة هو نفس مصحف قرطبة.

أما مصحف البصرة فقد أشرنا فيما سبق إلى أن ابن بطوطة رآه في البصرة ورجحنا أن يكون نفس المصحف الذي أرسله عثمان بن عفان إلى البصرة، وربما انتقل فيما بعد إلى سمرقند ثم إلى طشقند. وأيا ما كان الأمر فإن رؤية ابن بطوطة لمصحف البصرة يتعارض مع الرأي القائل بأنه هو ذاته المصحف الذي كان بجامع قرطبة وانتقل في عهد بني مرين إلى فاس.

ويبقى علينا أن نناقش قول كل من ابن بشكوال وابن عبد الملك الأنصاري بأن مصحف قرطبة هو أصلا المصحف العثماني بدمشق وأنه دخل الأندلس مع عبد الرحمن الداخل في سنة 138 هـ، وهو قول مردود نستبعده تماما فقد أطلال المؤرخون والرحالة الذين زاروا دمشق في وصف المصحف العثماني الشامي في فترات زمنية متأخرة على عهد عبد الرحمن الداخل (138-172 هـ) مما يتعارض مع رأي ابن عبد الملك الأنصاري وابن بشكوال في أنه انتقل إلى قرطبة زمن هذا الأمير : فقد شاهده ابن جبير الأندلسي⁽⁷⁰⁾، ووصفه كما شاهده الهروي سنة 611 هـ⁽⁷¹⁾ وشاهده أيضا أبو القاسم التجيبي السبتي في سنة 697 هـ⁽⁷²⁾، وكذلك ابن فضل الله العمري⁽⁷³⁾ في القرن الثامن الهجري، وابن بطوطة في نفس الفترة تقريبا⁽⁷⁴⁾، والغزي في القرن العاشر الهجري⁽⁷⁵⁾.

ويذكر ابن عبد الملك الأنصاري أن حجم مصحف قرطبة يختلف عن حجم المصحف الذي رآه أبو بكر بن شيبه في العراق، كما أن آثار الدم في مصحف الأندلس كان في موضعين منه فقط بعكس ابن شيبه الذي ذكر أن آثار الدم كانت في أكثر من موضع في مصحف عثمان الذي رآه في العراق⁽⁷⁶⁾. ولإزالة الغموض الذي يكتنف مصحف عثمان الامام أرجح أن مصحف الأندلس الذي كان محفوظا بجامع قرطبة لم يكن بأكمله مصحف عثمان بن عفان الشخصي الذي كان يقرأه يوم استشهد، وإنما كان يتضمن أربع ورقات فقط من مصحف عثمان الشخصي، أما بقية أوراق مصحف الأندلس فقد تكون نسخت على نفس نظام المصحف العثماني. ونستند في هذا الرأي على ما ذكره الجغرافي الشريف الإدريسي وهو جغرافي ثبت معروف بأمانته وصدقه في الوصف فقد ذكر أن بمخزن الجامع الواقع على يسار المحراب يرفعه رجلان لثقله، فيه أربعة أوراق من مصحف عثمان بن عفان، وهو المصحف الذي خطه بيمينه رضي الله عنه وفيه نقط من دمه⁽⁷⁷⁾.

ونخرج من ذلك بأن مصحف الأندلس اكتسب شهرته ورفيع مكانته من تلك الورقات الأربعة التي انتزعت من المصحف الأصلي واصطبغت بنقاط من دمه، ومن هنا عظم أهل

قرطبة مصحفهم وبجلوه، وتوارثت الأجيال في قرطبة والأندلس هذا الشعور العميق بتعظيم هذا المصحف حتى عصر الموحدين الذين خشوا عليه من الضياع إذا بقي محفوظا بموضعه من جامع قرطبة، بسبب تعرض قرطبة لعبث قوات قشتالة وغاراتهم عليها⁽⁷⁸⁾ من جهة، ورغبتهم في الاحتفاظ به في خزائهم في المغرب للتبرك به من جهة أخرى، فتم نقله من قرطبة إلى مراكش في سنة 552 هـ⁽⁷⁹⁾.

ومن المرجح كما سبق أن ذكرنا في الصفحات السابقة أن تكون رحلة هذا المصحف من العراق إلى الأندلس قد تمت في عهد عبد الرحمن الأوسط (206-328 هـ) الذي شهد عصره انفتاح الأندلس على المشرق ووفود تيارات حضارية بغدادية إليها ممثلة في التحف والنفايس العباسية التي انتهبت من قصور الأمين، وفي الكتب المشرقية التي ضاقت بها خزائن بغداد، وفي التقاليد الفنية المشرقية الأصلية التي رفعت من شأن بغداد إلى الذروة وتتمثل في شخص زرياب المغني وقمر البغدادية⁽⁸⁰⁾. ونستدل على ذلك من نص أورده ابن حيان نقلا عن ابن القوطية القرطبي جاء فيه : « ان الفتى حبيب الصقلي دعا بعد وفاة الأمير عبد الرحمن الأوسط، « بالمصحف المنسوب إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه، فاستحلف جميعهم لمحمد (يقصد الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط) وتوثق منه »⁽⁸¹⁾.

وظل المصحف الامام محفوظا بموضعه من جامع قرطبة طوال عصر الامارة، ويذكر صاحب الحلال الموشية أن الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر كان يحفظ هذا المصحف ويعتز به⁽⁸²⁾.

مصير مصحف عثمان بن عفان المحفوظ بجامع قرطبة :

أ - في عهد الخليفة الحكم المستنصر بالله :

ذكر ابن عبد الملك الأنصاري نقلا عن الرازي في أخبار سنة 354 هـ وهي السنة التي شرع فيها الخليفة الحكم المستنصر بالله زيادته الحكيمة ببيت صلاة المسجد الجامع بقرطبة من جهة القبلة⁽⁸³⁾ : « وفي يوم الأحد لثمان خلون من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وثلاثمائة احتل المصحف المرتب في جامع قرطبة لقراءة الامام فيه صبيحة كل يوم بعد صلاة الصبح، وهو مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه ومما خطه بيمينه إلى دار صاحب الصلاة محمد بن يحيى الخراز⁽⁸⁴⁾، عن عهد أمير المؤمنين أبياه الله احتراسا به وتخفيا عند فتح الحنايا التي يفضي منها إلى موضع الزيادة التي زادها أعزه الله في الجامع، وكان فتحها في هذا التاريخ »⁽⁸⁵⁾.

كذلك أورد ابن عبد الملك الأنصاري نصا نقله هذه المرة من ابن حيان، نطالع فيه ما يلي :

« ولما احتيج في هذا الوقت إلى خرق سور القبلة المقدمة لهذه البنية الحكيمة لاتصال قطع المسجد بعضها ببعض واتساقها، احتمل المصحف المدعى بالامام، المختزن كان بمقصورة هذا الجامع، المرتب لقراءة أول الفريضة فيه كل يوم عند فراغه من صلاة الصبح، وهو مصحف أمير المؤمنين، عثمان بن عفان رضي الله عنهما خطه بيمينه وله عند الأندلس شأن عظيم واحتفاء شديد، أمر الخليفة من أجل ذلك باحتماله إلى دار صاحب الصلاة الثقة المأمون محمد بن يحيى، بن عبد العزيز المدعو بابن الخراز واخزانه لديه احتراسا به وتحفظا بمكانه، إلى أن ينقضي أمر القبلة الجديدة، وتتحصن بمقصورتها المحدثّة الموثقة، فيعاد المصحف إلى مكان إحراره بها، ففعل ذلك بالمصحف واحتمله مشيخة السدنة إلى دار ابن الخراز، وذلك يوم الأحد لثمان خلون من جمادى الآخرة من سنة أربع وخمسين وثلاثمائة» (86).

وظل المصحف محفوظا في دار صاحب الصلاة ابن الخراز، نقله إليه سادن الجامع، وظل محفوظا في تلك الدار إلى أن تم الفراغ من زخرفة جدار القبلة بالزيادة الحكيمة ونصبت المقصورة (87) الجديدة في موضعها من هذه الزيادة بحيث أصبحت تحيط بالأساطين الخمسة المركزية المواجهة للقبلة بما في ذلك مشرعي السباط والمخزن، وتوجت من أعلاها بالقباب الثلاث، فأعيد المصحف إلى موضعه من هذه المقصورة الجديدة حيث كان يختزن في الغرفة التي يؤديها إليها الباب الأيسر المعقود على يسار جوفة المحراب، وأغلب الظن أن ذلك تم بعد الانتهاء من أعمال البنين والزخرفة بالزيادة المذكورة في سنة 355 هـ.

ب - المصحف في عصر الطوائف وعصر تبعية الأندلس لدولة المرابطين :

استمر هذا المصحف محفوظا بالمسجد الجامع، وكان بموضع المصلّى كرسي يوضع عليه (88). وكان المسؤول عن هذا المصحف وكرسيه سادن يتولى مخازن الجامع وذكر ابن سعيد أنه كان يتولاه في عصر بني جهور من ملوك الطوائف وزير، مما يجبر عن أهمية هذا المصحف (89). ولم تزودنا المصادر العربية بأي تفاصيل عن مصحف عثمان الامام المختزن بمقصورة الجامع في عصر دويلات الطوائف.

أما في عصر المرابطين فل ترد المصادر أية نصوص تاريخية لسلط الضوء على المصحف الامام إلا أن الادريسي وصف المصحف في كتابه نزهة المشتاق وصفا دقيقا، ومن المعروف عاش في زمن المرابطين، وتوفي بعد دخول الموحدّين الأندلس بنحو عشرين سنة. فقد ولد في سنة 493 هـ وتوفي في سنة 560 هـ (90)، كما أنه انتهى من تأليف كتابه في سنة 548 هـ، وهذا يعني أنه وصف قرطبة ومسجدها الجامع الذي كان يحتفظ بمصحف عثمان في عصر المرابطين.

واستنادا إلى ما ذكره الادريسي فإن المرابطين اهتموا بهذا المصحف اهتماما خاصا، فقد وظفوا لرعايته والعناية به ثلاثة رجال من قومة المسجد لآخراجه صباح كل يوم جمعة،

وفي ذلك نعيد قول الادريسي : « وهذا المصحف يخرج في صبيحة كل يوم جمعة ويتولى إخراجهم رجلان من قومة المسجد وأمامهم رجل ثالث بشمعة ». وكان لهذا المصحف غلاف من الجلد قائم اللون، بديع الصنعة، دقيق النقش، وكان إمام المسجد يقرأ منه صبيحة كل يوم نصف حزب ثم يرده إلى كرسیه بالمصلى مرة ثانية.

ج - مصحف عثمان في عصر دولتي الموحدين وبني مرين :

في أواخر عمر المرابطين في الأندلس اقتحم قرطبة ألفونسو السابع ريموندس المعروف بالسلطين ملك قشتالة مدينة قرطبة، وعاث جنده فيها فسادا طيلة 9 أيام انتهكوا خلالها حرمة مسجدها الجامع، وربطوا خيولهم في أروقته، وتناولوا بأيديهم المصحف العثماني، وانتهبوا مفاتيح المنار وكانت من الذهب والفضة، وانتزعوا من المنبر نحو نصفه، ونهبوا أوصاله وثريات الفضة⁽⁹¹⁾. لذلك عزم الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي على نقل هذا المصحف الكريم من الأندلس إلى المغرب خوفا عليه من النصارى في حالة اقتحامهم بمدينة قرطبة لأي سبب من الأسباب. ويبدو أنه كان متخوفا في بداية الأمر من أهلها أن يثوروا عليه إذا ما أقدم على ذلك، لما لهذا المصحف من مكانة كبيرة في نفوسهم، فتوقف عن تنفيذ رغبته لما جبل عليه من إشفاقه على أهل قرطبة والظاهر أن أفرادا تحدثوا إلى أهل قرطبة في حرص الخليفة الموحدي على حماية المصحف الامام وصيانيته في بلد آمن فوافقوا على نقل مصحفهم من مسجدهم الجامع إلى مراكش وقام بهذه المهمة السيدان أبو سعيد وأبو يعقوب يوسف ولذا الخليفة في 11 من شوال سنة 552 هـ⁽⁹²⁾، وفي ذلك يقول المقرئ نقلا من كتاب الوزير أبي محمد بن عبد الملك بن طفيل : « وصل إليهم ادام الله سبحانه وتعالى تأييدهم قمر الأندلس النيران وأميرها المتخيران السيدان الأجلان أبو سعيد وأبو يوسف أيدهما الله، وفي صحبتتهما مصحف عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه، وهو الامام الذي لم يختلف فيه مختلف وما زال ينقله خلف عن سلف... »⁽⁹³⁾ وبهذه المناسبة نظم الوزير أبو زكرياء يحيى بن أحمد بن يحيى بن عبد الملك بن طفيل قصيدة منها :

جزى الله عن هذا الأنام خليفة	به شربوا ماء الحياة فخلدوا
وحياة ما دامت محاسن ذكره	على مدرج الأيام تتلى وتنشد
لمصحف عثمان الشهيد وجمعه	بين أن الحق بالحق يعضد
تدامته أيدي الروم بعد انتسافه	وقد كاد لولا سعه يتبدد
فما هو إلا أن تمرس صارح	بدعوته العليا فصين المبدد ⁽⁹⁴⁾

وقد اهتم الموحدون بالمصحف واعتنوا بكسوته، فكسوه بصفائح الذهب المرصعة باللآلئ النفيسة والأحجار الكريمة من يواقيت وزمرد وجواهر، وحشدوا لاجراء غلافه على تلك الصورة الرائعة والصنعة المتميزة عددا كبيرا من الصنائع المتفنين، والمهرة المتفنين في بلاد المغرب، وكللوا غلافه بحجر ياقوت أحمر لا يقدر بمال كان يسمى الحافر، كما صنع له اصونة غريبة من السندس الأخضر، ومحمل غريب الصنعة، بديع الشكل،

مغشى بضروب من الترصيع في قطع من الأبنوس والخشب الرفيع⁽⁹⁵⁾، وصنع لهذا المحمل كرسي عند الانتقال، ويشاركه في أكثر الأحوال، مرصع مثل ترصيعه، ثم جعل لذلك كله تابوت يحتوي عليه مكعب الشكل، سام في الطول، يزدان بنفس الحليات التي يتحلى بها المحمل وكرسيه، ودبرت لفتحه حركات هندسية، عن طريق مفتاح إذا أديرت به اليد انفتح الباب إلى داخل الدفتين، فيخرج الكرسي زحفاً، ويغلق الباب تلقائياً بخروجه. ومن مظاهر عناية الموحدين بهذا المصحف، وتبركهم به أنهم كانوا يحملونه في أسفارهم⁽⁹⁶⁾. وحروبهم، وكان عبد المؤمن بن علي أول من سن هذه العادة المباركة في المغرب، كانوا يحملونه على هودج تحمله ناقة حمراء⁽⁹⁷⁾، قد كسيت بنفيس الديباج وأحياناً جمل أبيض، وعلى الهودج أربع علامات حمراء، ويتبعه الخليفة وابنه وراءه، ثم يلي ذلك الجنود والاعلام والطبول ثم الأمراء المدربون للدولة.

واستمر الموحدون يحملون هذا المصحف المكرم معهم في رحلاتهم وتنقلاتهم وأسفارهم إلى أن حملة الخليفة الموحدي المعتضد بالله أبو الحسن علي بن المأمون أبي العلاء ادريس حين توجه إلى تلمسان علي عادة خلفاء الموحدين، وكان ذلك في نهاية عام 645 هـ فقتل علي مقربة من تلمسان في آخر صفر سنة 646 هـ⁽⁹⁸⁾، فاختل جيش الموحدين ووقع النهب في خزائن السلطان واستولى العرب وغيرهم على معظم المعسكر، ونهب المصحف الكريم، ولم يدرك الذين انتهبوا مدى قيمته التاريخية والروحية، فدخلوا به تلمسان وعرضوه للبيع، ونودي عليه بسوق الكتب في تلمسان بسبعة عشر درهماً، وضاعت منه أوراق، فلما علم أبو يحيى يغمراسن بن زيان أمير تلمسان من بني عبد الواد بذلك، بادر بانتزاع المصحف المكرم من أيدي منتهبيه، وأمر بصيانته والحفاظ عليه، وأدركه أبنائه، وظل المصحف في حوزتهم حتى سنة 702 هـ.

وهكذا ظل مصحف عثمان محفوظاً في خزائن ملوك تلمسان من بني عبد الواد حتى قدم أبو الحسن علي بن عثمان بن أبي يعقوب المريني إلى تلمسان في أواخر شهر رمضان سنة 737 هـ وافتتحها سنة 738 هـ فظفر بهذا المصحف، وأولاه اهتماماً خاصاً، وكان يقدمه أمامه على عادة الموحدين عند خروجه للقتال. واتفق أن وقع هذا المصحف غنيمة في أيدي البرتغاليين الذين اشتركوا مع القشتاليين والأرجونيين في موقعة طريف المعروفة في المصادر المسيحية بموقعة بهر سلاو في 7 جمادى الأولى سنة 741 هـ (1340 م) وانتهت بهزيمة شنعاء مني بها المرينيون، ولم يدخر السلطان المريني جهداً لاسترداد المصحف، فأرسل إلى البرتغال التاجر أبا علي الحسن بن جمى من مدينة ازموغ ليرد المصحف بما يطلب فيه من مال⁽⁹⁹⁾، ونجح أبو علي الحسن في مهمته وأعادته إلى السلطان أبي الحسن المريني في فاس في سنة 745 هـ. ويذكر ابن مرزوق أنه أنفق في اقتناء المصحف آلافاً من الدنانير الذهبية. وهكذا أعيد المصحف الإمام إلى فاس بعد أن جرد البرتغاليون أغشيته ومزقوا ما كان على دفتيه من وشى وأحجار كريمة. واستمر المصحف محفوظاً في خزائن المرينيين، وكان ذلك آخر العهد به، إذ انقطعت أخباره من ذلك التاريخ.

الهوامش

- (1) الشريف الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، طبعة مصر، ج 2، ص 577-578، وانظر ما كتبه الادريسي عن جامع قرطبة في كتاب : وصف المسجد الجامع بقرطبة، نشر وتحقيق وترجمة النص إلى الفرنسية لألفريد ديسو لآمار، الجزائر، 1949، ص 8. ويسوق الجغرافي مجهول الاسم رواية تختلف بعض الشيء عن رواية الإدريسي، ذكر فيها أن مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه كان يحفظ في بيت منبر الجامع المتصل بالمشرع إلى الساباط، والواقع على يمين المحراب وليس على شماله كما يذكر الادريسي، وانه كان يزدان بحلية من ذهب مكللة بالجواهر والياقوت، وعليه أغشية الديباج، وكان يوضع على كرسي من العود الرطب بمسامير الذهب. (مؤلف مجهول الاسم، ذكر بلاد الأندلس، نشر وتحقيق لويس مولينا، مدريد، 1983).
- (2) السجستاني (الحافظ أبو بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث)، كتاب المصاحف، نشر آرثر جفري، القاهرة، 1936 م (1355 هـ)، ص 6.
- (3) ابن الجزري الدمشقي (الحافظ أبو الخير)، النشر في القراءات العشر، تحقيق الأستاذ علي محمد الصباغ، القاهرة، ص 7.
- (4) عرفت في زمانها بإتقانها للكتابة والقراءة (صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، ص 76) وكان أبو بكر قد عهد إلى زيد بن ثابت بكتابة القرآن لما عرف عنه من وعي وصدق وثبات، فقد كان حافظاً ثباتاً نقة، وبعد أن تم جمع القرآن الكريم وكتابته ووضع بين لوحين، أودعه أبو بكر عنده بقية حياته، ثم انتقل إلى عمر بن الخطاب في حياته، ثم أمر عمر بإيداعه عند ابنته حفصة أم المؤمنين.
- (5) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ص 7.
- (6) نفس المصدر، ص 7 - الزركشي (الإمام بدر الدين محمد) البرهان في علوم القرآن، تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم، ج 1، القاهرة، 1907، ص 235.
- (7) السجستاني، كتاب المصاحف، ص 24.
- (8) اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن واضح)، تاريخ اليعقوبي، ج 2، بيروت، 1960، ص 170.
- (9) صلاح الدين المنجد، دراسات في تاريخ الخط العربي منذ بدايته إلى نهاية العصر الأموي، بيروت، 1979، ص 42-43.
- (10) عن المناقشات الطويلة التي دارت حول تحديد السنة التي بدىء فيها بنسخ المصاحف، انظر السجستاني، كتاب المصاحف، ص 22-24-25 - السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، القاهرة، 1935، ج 1، ص 102، وانظر أيضاً صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، ص 72-83، عبد الله خورشيد البري، القرآن وعلومه في مصر، القاهرة، ص 18-45.
- (11) السجستاني، كتاب المصاحف، ص 36، ابن عساكر (أبو القاسم علي) تاريخ مدينة دمشق، تحقيق سكيبة الشهابي، دمشق، 1984، ص 237-243.
- (12) الداني (أبو عمرو عثمان بن سعد)، المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار، تحقيق الأستاذ محمد أحمد دهمان، دمشق، 1983، ص 10، الزركشي، البرهان، ج 1، ص 235.
- (13) السجستاني، كتاب المصاحف، ص 34.
- (14) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج 2، ص 170.
- (15) ابن الجزري، النشر، ص 7.
- (16) عبد العزيز مرزوق، المصحف الشريف، ص 13، وانظر : الزرقاني (محمد عبد العظيم) مناهل العرفان في علوم القرآن، القاهرة، 1957، ج 1، ص 360، عبد الله خورشيد البري، القرآن وعلومه في مصر، ص 54-58.

- (17) الشريف الادريسي، وصف جامع قرطبة، نشر ديسية لامار، ص 8 - المقرئ، نفح الطيب من غصن أندلس الرطيب، نشر الشيخ محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، 1949، ج 2، ص 86.
- (18) السجستاني، كتاب المصاحف، ص 37.
- (19) محمد بن سعد، كتاب الطبقات الكبرى، تحقيق ادوارد سحو، ج 3، 1321 هـ، ص 51 - السهمودي، وفاء الوفا، طبعة بيروت، ج 2، ص 504.
- (20) المقرئ (تقي الدين) المواعظ والاعتبار في ذكر المخطوط والآثار، ج 3، طبعة بيروت، (بدون تاريخ) ص 201.
- (21) أحمد تيمور باشا، الآثار النبوية، القاهرة، 1375 هـ، ص 67 - صلاح الدين المنجد، دراسات في تاريخ الخط العربي، ص 46-47.
- (22) السهمودي، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، ج 1، 1326 هـ، ص 482.
- (23) عبد الله خورشيد البري، القرآن وعلومه في مصر، ص 57.
- (24) صلاح الدين المنجد، المرجع السابق، ص 53.
- (25) عبد الله خورشيد البري، المرجع السابق، ص 63.
- (26) ابن بطوطة، الرحلة، بيروت، 1960، ص 186.
- (27) الداني، المقنع، ص 10 - الزركشي، البرهان، ج 1، ص 235.
- (28) صلاح الدين المنجد، المرجع السابق، ص 50.
- (29) محمود حلمي، على هامش المصحف الامام والخط المصحفي، ص 11.
- (30) المرجع السابق، ص 11.
- (31) نفس المرجع، ص 12.
- (32) صلاح الدين المنجد، المرجع السابق، ص 50.
- (33) صلاح الدين المنجد، ص 50.
- (34) يتفق في ذلك كل من الرازي نقلا عن ابن عبد الملك الأنصاري، وابن حيان، والادريسي، والجغرافي مجهول الاسم والمقرئ. ومن الجدير بالذكر أن الخليفة الشهيد عثمان بن عفان لم يكتب أي مصحف من المصاحف التي أمر بنسخها بخط يده حتى ولا مصحفه الخاص به (ولمزيد من التفاصيل أنظر : صلاح الدين المنجد، المرجع السابق، ص 55 - محمود حلمي، على هامش المصحف الامام، والخط المصحفي، ص 7-9).
- (35) جاء في هذه الرواية ما يلي : « قال محرز : وبلغني أن مصحف عثمان صار إلى خالد بن عمرو بن عثمان » (السهمودي، وفاء الوفا، ص 481).
- (36) يقول السهمودي في ذلك نقلا عن ابن قتيبة : « وقد قال ابن قتيبة، كان مصحف عثمان الذي قتل وهو في حجره عند ابنه خالد، ثم صار مع أولاده وقد درجوا » (السهمودي، المصدر السابق، ص 482).
- (37) أنظر تحقيق دكتور طاهر المكي لكتاب فون شاك، الفن العربي في اسبانيا وصقلية، القاهرة، 1985، ص 195.
- (38) الطاهر المكي، المرجع السابق، ص 54.
- (39) ابن بطوطة، الرحلة، ص 54.
- (40) ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 116.
- (41) الملك الأشرف عمر بن يوسف بن رسول، طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب، تحقيق شترستين، الجمع العلمي العربي بدمشق، دمشق، 1949، ص 69-70، وانظر محمد بن سعد، كتاب الطبقات الكبير، ج 3، ص 37.

- (42) ابن سعد، المصدر السابق، ج 5، ص 111. ورحلة بنت معاوية هي غير رملة بنت أبي سفيان المعروفة بأُم حبيبة زوج رسول الله وعمة رملة التي تزوجها عمرو بن عثمان بن عفان (انظر ابن حجر العسقلاني، الاصابة في تمييز الصحافة، 1328 هـ، ج 4، ص 304-305).
- (43) السمعوري، وفاء الوفا، ج 1، ص 528.
- (44) محمد بن عبد الملك الأنصاري، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والسلة، السفر الأول من القسم الأول، بيروت، ص 165.
- (45) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 511 وانظر السيد عبد العزيز سالم، التاريخ السياسي والحضاري للدولة العربية، ص 352-354.
- (46) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ص 250.
- (47) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 4، ص 112.
- (48) اليعقوبي، المصدر السابق، ص 251.
- (49) ابن الأثير، الكامل، ج 4، ص 112.
- (50) الاصفهاني (أبو الفرج)، مقاتل الطالبين، بيروت، 1961، ص 311-320.
- (51) ابن الأثير، المصدر السابق، ج 4، ص 533-551.
- (52) ابن الأثير، المصدر السابق، ج 6، ص 90-92، الاصفهاني، مقاتل الطالبين، ص 311-320.
- (53) السمعودي، وفاء الوفا، ج 1، ص 482.
- (54) ولد أبو عبيد القاسم بن سلام في سنة 154 هـ (770 م) وتوفي بمكة وقتل في المدينة سنة 223 هـ، وقيل سنة 224 هـ (انظر : كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ترجمة د. عبد الحليم النجار، القاهرة، 1982، ج 2، ص 155، وانظر أيضا كتاب الايمان للامام أبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، مطبعة المؤسسة السعودية بمصر، المقدمة) وإن كان الدكتور صلاح الدين المنجد يرجع أنه توفي في عام 222 هـ (صلاح الدين المنجد، المرجع السابق، ص 47).
- (55) ابن عبد الملك الأنصاري، الذيل والتكملة، السفر الأول من القسم الأول، بيروت، ص 165-166.
- (56) محمد ابن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق د. ماريّا خيسوس بيغيرا، الجزائر، 1401 هـ (1981 م) ص 485-486.
- (57) السمعودي، وفاء الوفا، ج 1، ص 482.
- (58) لمزيد من التفاصيل عن كتب أبي القاسم بن سلام وأماكن حفظها ارجع إلى كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي. ص 155-159.
- (59) فون شاك، الفن العربي في اسبانيا وصقلية، ترجمة الدكتور الطاهر مكي، ص 194-195.
- (60) المقري، نفح الطيب، ج 2، ص 135.
- (61) ابن عبد الملك الأنصاري، الذيل والتكملة، السفر الأول، القسم الأول، ص 166.
- (62) ابن عبد الملك الأنصاري، المصدر السابق، ص 158 - ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص 456.
- (63) نفس المصدر، ص 158.
- (64) المقري، نفح الطيب، ج 2، ص 86.
- (65) المقري، نفس المصدر السابق، ص 99.
- (66) صلاح الدين المنجد، المرجع السابق، ص 48.
- (67) ابن بطوطة، الرحلة، بيروت، ص 138.
- (68) ابن مرزوق، المسند، ص 459 - المقري، نفح الطيب، ج 2، ص 135.
- (69) السمعودي، وفاء الوفا، ج 1، ص 482.
- (70) ابن جببر، الرحلة، تحقيق وليم رايت، لندن، 1907، ص 298.

- (71) الهروي، كتاب الاشارات إلى معرفة الزيارات، تحقيق جانين سورديل طوين، دمشق، 1953، ص 15 (يقول الهروي : « وبالجامع.. ومصحف عثمان بن عفان رضه كما ذكروا انه خطه بيده »).
- (72) ابن مرزوق، المسند، ص 459 - المقرئ، نفح الطيب، ج 2، ص 1035.
- (73) ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، تحقيق أحمد ذكي، ج 1، ص 195.
- (74) ابن بطوطة، الرحلة، ص 90.
- (75) نجم الدين الغزي، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، تحقيق جبرائيل سليمان جبور، بيروت، 1945، ج 1، ص 89، ترجمة محمد البدخشتي.
- (76) ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، ص 165.
- (77) الادريسي : المصدر السابق، ص 210-211.
- (78) في سنة 540 هـ قام النصاري بغارة وحشية على قرطبة، ودخلوا أروقة الجامع بخيولهم وانتهبوا ذخائره.
- (79) ابن عبد الملك الأنصاري، الذيل والتكملة، ق 1، السفر الأول، ص 158، ابن مرزوق، المسند عن ابن شكوال، ص 456.
- (80) السيد عبد العزيز سالم، التأثيرات العراقية على البناء الحضاري الأندلسي في عصر الدولة الأموية، بحث صدر في مجموعة بحوث المؤتمر الدولي الأول في العراق، 1972.
- (81) ابن حيان، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق دكتور محمود علي مكي، بيروت، 1973، ص 113.
- (82) مجهول، كتاب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق عبد القادر زمامة و د. سهيل زكار، الدار البيضاء، 1979، ص 152.
- (83) شرع الحكم المستنصر بالله في بنیان الزيادة الحكمية بجامع قرطبة في 4 جمادى الآخرة سنة 354 وكمّلت في سنة 355، واقتضى الأمر فتح جدار القبلة القديم في زيادة عبد الرحمن الأوسط توطئة لمد البلاطات الاحدى عشرة إلى الجنوب في الزيادة الجديدة وذلك في 8 جمادى الآخرة من نفس سنة 354 وعندئذ اضطر الحكم إلى إصدار أمره لنقل المصحف من موضعه في المسجد القديم إلى دار صاحب الصلاة ويدعى محمد بن يحيى بن عبد العزيز المعروف بابن الخراز، والمعروف أن الزيادة الحكمية امتدت إلى جهة القبلة مسافة 95 ذراعاً، وتميزت بإنشاء أربع قباب، إحداها تتقدم المحراب بأعلى البلاط الأوسط وتكتنفها قبتان واحدة إلى يمين المحراب والثانية على يساره، أما القبة الرابعة فتعلو الاسطوان الأول من البلاط الأوسط عند منخل الزيادة، كما تميزت هذه الزيادة بمحرابها المنزل بالفسيفساء وبابها المعقودين بنفس العقد الذي يتوج فتحة حنيه المحراب (راجع التفاصيل في : السيد عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، ج 1، الاسكندرية، 1984، ص 338-346).
- (84) كان ابن الحراز المذكور عالماً ثقة بالنحو، ولي الصلاة بقرطبة، كما تولى قضاء طليطلة وباجة ونواتها، بالإضافة إلى احكام الشرطة، وفي أواخر أيامه أُفْعِد ولزم داره نحو سبع سنوات كان يقصده الناس خلاها للسمع منه وتوفي في السابع من شوال سنة 369 هـ (ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، طبعة مدريد، مدريد، 189 م، ترجمة 1323، ص 374).
- (85) ابن عبد الملك الأنصاري، الذيل والتكملة، قسم السفر الأول، ص 158 وانظر نص الرازي الذي نقله ابن مرزوق في المسند، ص 456، وقد نقله عن الرازي محرّفاً في تاريخ الفراغ من الزيادة.
- (86) ابن عبد الملك، الذيل والتكملة، ص 158.

- (87) صنعت هذه المقصورة من الخشب وكانت منقوشة الظاهر والباطن، مشرفة الزروة، يبلغ طولها 75 ذراعاً، وعرضها 22 ذراعاً، وارتفاعها إلى الشرفات ثمانى أذرع، وكان يفتح فيها ثلاثة أبواب بديعة الصنعة عجيبة النفس (ابن غالب، قطعة من كتاب فرحة الأنفس، تحقيق د. أحمد لطفي عبد البديع، مجلة معهد الخطوط العربية، القاهرة، 1956، ص 28 - ابن عذارى، البيان المغرب، تحقيق ليفي بروفنسال وكولان، بيروت، ج 2، ص 238.
- (88) الادريسي، المغرب وأرض السودان من كتاب نزهة المشتاق، طبعة ليدن، 1866، ص 211.
- (89) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج 1، ص 160، السيد عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج 1، ص 342.
- (90) حسين مؤنس، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، مدريد، 1967، ص 173-193.
- (91) ابن غالب، قطعة من فرحة الأنفس، ص 30. ويدرج عبد الواحد المراكشي هذا الحادث خطأ في حوادث سنة 503 هـ، ويذكر أن النصارى دخلوا بخيولهم المسجد وأقاموا به يومين (عبد الواحد بن علي المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، نشر وتحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، القاهرة، 1949، ص 373 (ومما يؤكد عبث القشتاليين في مسجد قرطبة سنة 540 عند دخول الموحديين الأندلس في ذلك العام ما ذكره ابن بشكوال بقوله : « ولو كوشف (يقصد عبد المؤمن بن علي) رحمه الله بحال قرطبة من بلاد الأندلس وسواها، وانتهاك عبدة الصليب محوط حماها، واستيلائهم على ما اشتملت عليه من كثير من المصاحف غير ذلك المصحف الكريم، وابتذالهم، ما عني أكابر العلماء بصيانتهم من ذخائر دواوين العلم على العهد القديم، لسر بإخراجه عن قرطبة واحتماله، وأعان بالتخصيص نصحا له على انتقاله، إنقاذاً له من أيدي المشركين، واستدامة لبقائه، في كلاءة المسلمين. وكان إخراجهم في التاريخ الذي ذكره الرواية أبو القاسم ابن بشكوال في أيام أبي محمد عبد المؤمن بن علي... » (ابن عبد الملك الأنصاري، الذيل والتكملة، ص 160).
- (92) المقري، نفح الطيب، ج 2، ص 137-138.
- (93) المقري، المصدر السابق، ج 2، ص 35.
- (94) نفس المصدر، ج 2، ص 140، وانظر باقي القصيدة بنفس المصدر، ص 138-141.
- (95) نفس المصدر، ج 2، ص 143-144.
- (96) ابن عبد الملك الأنصاري، الذيل والصلة، السفر الأول، القسم الأول، ص 156، عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص 253، كتاب الحل الموشية، ص 153.
- (97) ابن عبد الملك الأنصاري، المصدر السابق، ص 167.
- (98) ابن عبد الملك الأنصاري، الذيل والتكملة، ص 167.
- (99) ابن مرزوق، المسند، ص 461 - المقري، نفح الطيب، ج 2، ص 136.